

تنصير قبيلة الفولاني في غرب إفريقيا

بقلم : عبد الرحمن أحمد عثمان

العربية في شمالي نيجيريا) ، انه وقبل ستين عاماً جاء إلى البلاد النيجيرية أحد المنصرين يدعى مستر ملر ليأخذ معه إلى أوروبا بعض أبناء الزعماء الفولانيين منهم «توجو بليرو» - الذي هداه الله بعد ذلك إلى الإسلام - وهو ابن أمير زاريا ، ومعلم تفيده الذي مات على نصرانيته في العام المنصرم . والسؤال الذي يطرح نفسه هنا تلقائياً :
من هم الفولانيون ؟ ولماذا يهتم المنصرون بهم ؟
ومن هم المنصرون ؟ وما مظاهر ذلك التنصير ؟ وما هي
وسائطه ؟

الفولانيون مجيء من دانفوديو إلى شقاري ...

يصف المؤرخون الفولانيين بأنهم أذكي القبائل في إفريقيا قاطبة . فقد بدأت قبيلة الفولاني تظهر إلى حيز الوجود منذ عام ٨٧٠ ميلادية ، وكان موطنها آنذاك حوض نهر السنغال في فوتا تورو و فوتا جالون ثم أخذت تهجر شرقاً وغرباً حتى بلغت هجرتها شرقاً الحدود السودانية الإثيوبية ، وغرباً إلى موريتانيا .. وهم قوم طوال الأجسام نحافها ، يتميزون عن جيرانهم بالبشرة الفاتحة والأنف المستقيم والشعر السبسي إلى حد ما . وهذا الاختلاف النفسي والعقلي والجسمي سوَّغ لرواج كثير من الآراء حول أصل الفولاني .

يرى بعض علماء الاجناس الحضارية أنهم من البطون الضالة لقبيلة بني إسرائيل .. فيما يرى آخرون أنهم من بقايا رجال الامبراطورية الرومانية في شمالي إفريقيا .. وهذه النظرة لا تختلف كثيراً عن تلك التي ترى أن أصلهم مصريون . معتمدة في ذلك على « الطلاقي » التي يتعمم بها الفولانيون ، فالملابس الباقية رومانية الشبه ، فقد يعني ذلك أنهم من بقايا الأسرة الحاكمة من الرومانيين الذي حكموا مصر .

ويرى آخرون أنهم ربما كانوا قبيلتيين ، أو اثيوبيين ، أو ربما كانوا من ملابا .

يقدر علماء الإحصاء أعداد الفولاني بما يجاوز العشرة ملايين .. والفولانيون رعاة بدو ينقسمون إلى شطرين : بدو

■ أروي لك فصلاً من قصة التنصير .. إنها رواية اتخذت من العالم كله مسرحاً لها وتعددت فيها الفصول والابواب بتعدد قارات العالم واقطاره . إنه مسلسل يتعرض لدين الإنسلسن وسياساته وسيادته .

فعندما أعوزت الامبريالية العالمية الحيلة في الاستعمار المباشر فطلعت إلى نوع من الاستعمار الجديد الذي يربط بينها وبين من تود السيطرة عليه برباط من العقيدة متين حتى يذعن عن رضى وطيب خاطر . قرأت لهم في أكثر من كتاب بلغة الهوسا .. لغة الفولاني المتكف .. تلك الأسطورة التي تقول : إن المسيح عليه السلام يسعى لوضع غنمه في زريبة ويبني يحرسها عند الباب ، فتقام أمته ويبني هو مؤرقاً من أجلها . أو هكذا يصفون المسيح بأنه راعي لهؤلاء القوم الرعاة .. « الفولاني » . هذه هي حظيرة النصرانية الضيقة التي تخطتها سعة الإسلام وسعة رحمة الله .. ■■

فعندما بدأت الامبريالية تعاني مخاض التجربة « تجربة النزوع إلى الحرية من قبل الدول الإفريقية » أفرعتها رياح التغيير وأضحت تخشى رياح شبحي « الوطنية » و « الإسلام » . الوطنية التي أضحت تعني عند الافريقي كراهية كل من هو أبيض - والإسلام الذي ينسجم مع تفكير الافريقي فلا يجد حرجاً في تعدد الزوجات إن رأى في ذلك ضرورة .

وإزاء هذين الأمرين سعت الكنيسة لخلق عملاء لها واصابع تدبر بها خيل الشطرنج في دائرة السياسة الدولية . ففي إفريقيا سعت إلى أفرقة الكنيسة وذلك بالتركيز على العناصر الافريقية في إدارة الكنيسة والإرساليات الكنسية والمدارس والمناصب الإدارية العليا في الحكومات الوطنية .

وتحكي لنا الوثائق التنصيرية أن قصة تنصير قبيلة الفولاني في غربي إفريقيا قد بدأت منذ ستين عاماً فقد أخبرنا كثير من الرواة من بينهم الدكتور علي أبو بكر (دكتوراه في الثقافة

تنصير قبيلة الفولاني في غرب إفريقيا

خُصّ ، وحضرين يعملون بالقانون والسياسة والتعليم .
وقد اهتم المنصّرون بالبداية منهم خاصة ، وذلك لأسباب
متعددة :

جهل بدو الفولاني بمبادئ الإسلام مما يسهّل خديعتهم .
ينتشر الفولانيون على طول حزام السافانا الذي يعارض القارة
الافريقية من موريتانيا غرباً إلى الصومال شرقاً ، وذلك لأنهم
رعاة أبكار ، فهم يتبعون هذا الحزام لتسهيل عليهم عمليات الكر
والفر ، فهم يكرّون في فصل الجفاف إلى الجنوب بحثاً عن الماء
والكلا ، ويفرون شمالاً في فصل الخريف خوفاً من أمراض البقر ،
وذلك وقاية لأبقارهم التي يعتمدون عليها ويعتمد كثير من الأفارقة
على لحومها وألبانها وجلودها . لهذا فهم لا يستقر بهم المقام ،
وقد أورثهم هذا الترحال الجهل إلا بأبقارهم .. فلا يعلمون شيئاً
عن مبادئ الدين ، وقد كتبت إحدى الوثائق التنصيرية تقول :
« والفولاني يجهلون أساسيات الإسلام ويتجل ذلك في
غياب الممارسات الدينية في أواسط الشباب منهم لما يقع
عليهم من عبء الرعي والإشراف على الأبقار . فلا يجدون في
التعليم سبيلاً حتى إلى مرحلة متأخرة من حياتهم حيث
يستطيعون البقاء بالمعسكرات وتلقي بعض علوم الدين
مشافهة من السلف .. » .

وفي تقديرنا أن هذا هو الدافع الأساسي وراء محاولة التنصير ،
فقد طرحت الوثيقة المذكورة السؤال التالي : ما الذي يجعل
إخواننا اللوثريين يهتمون بالفولاني وهم مسلمون .. ومن
المعروف أن المسلم التقليدي لا يغير دينه ؟ وكانت الإجابة على
هذا السؤال :

إن تجربة الفولانيين في الإسلام تختلف عن غيرها ، إذ
أنهم يجهلون أسسه ومبادئه ..

لذلك فقد حاول المنصّرون إيهام الفولاني بأن الإسلام
والنصرانية لا يختلفان .. فعيسى هو ابن الله ، فعلى المسلم أن
يعتقد ذلك ، وعندما تتمكن منه هذه العقيدة يسعى المنصّرون
لتمكين عقيدة أخرى هي أن المسيح ابن الله يتحمل عن يؤمن به
عناء الصيام والصلاة ، فقد استمعنا إلى هذا الكلام مشافهة
معن استطاع المنصّرون التأثير عليهم ثم قرأناه في وثائقهم ..
والسبب الثاني : هو أن الفولانيين قرّم فيهم مكونات الزعامة ،
فمنهم عثمان إنفويديو الذي أسس امبراطورية سكتو وهي التي
مكنت للإسلام في غرب إفريقيا ، ومنهم كثير من زعماء الدول
الافريقية الحالية (رئيس جمهورية نيجيريا الاتحادية ،
شيخو شقاري ، ورئيس جمهورية الكاميرون ، بل إن
الأصول التاريخية ترجع برئيس وزراء السودان الأسبق
السيد « إسماعيل الأزهرى » إلى أصول فولانية ..)
والفولانيون أيضاً محبّون للعلم وعاملون على تعليمه ، فأغلب

المشايع الناجحين والدعاة إلى الدين من الفولانيين الذين
توطنوا في المدن وانقطعت الصلة بينهم وبين البدو إلى الدرجة
التي لم يعودوا قادرين فيها على الكلام باللغة الفولانية .
لكل هذا أصبح الفولانيون تحت تأثير البث الإذاعي
التنصيري : إذاعة صوت البشارة من أديس ابابا ، سيشيل ،
قاؤونديري ، الجابون ، ومنروفيا - راديو إلوا ، ولكل هذه الأسماء
صلة ببرامج التنصير الإذاعي .

افتتحت إذاعة صوت البشارة في أديس ابابا عام ١٩٦٣م
لتبث برامج بأكثر من خمس عشرة لغة إفريقية من بينها اللغة
الفولانية ، وعلى حد زعم المنصّرين أنهم قد تلقوا أسئلة عن
النصرانية من أفراد فولانيين استمعوا لهذه الإذاعة ، ونتيجة
لهذه الاستجابة الناجحة اجتمعت كل اللوثريات الأمريكية
العاملة في غرب إفريقيا « إفريقيا الوسطى ، والكاميرون ،
ونيجيريا ، والسنگال ، وفولتا العليا ، بالإضافة لاتحاد
الكنائس الإفريقية واتحاد اللوثريات العالمية واتحاد مجمع
الكنائس العالمي والكنيسة السودانية ، والفاتيكان .. »
اجتمعت هذه الكنائس على مبادئ موحدة هي : ضرورة تركيز
التنصير على قبيلة الفولاني . غير أن هذه الإذاعة « صوت
البشارة » من أديس ابابا قد تعطلت نتيجة للانقلاب الشيوعي
الذي أطاح بالعصر الاثيوبي الكنسي مستألفاً في هيلاسلاسي وذلك
عام ١٩٧٧م .

إذاعة جوس بنيجيريا ..

ولم تكن إذاعة جوس بولاية بلاتو النيجيرية بديلاً مناسباً
وذلك لأنها تبث برامجها التنصيرية بالهوسا والانجليزية ،
والفولانيون ليسوا على علم بهذه اللغات . لذلك اتجهت الآمال إلى
إذاعة سيشيل التي تحتاج لدعم وزيادة في عدد الذبذبات
العاملة ، وراديو إلوا في منروفيا .. أما إذاعة الجابون فقد
رصدت عربة صالون (داتسون) لمن ينجح في حل المسابقة
الرامية لتحديد الزمن المناسب للبث التنصيري لقبيلة الفولاني ،
والجدير بالذكر أن استوديوهات قاؤونديري بالكاميرون هي التي
ترصد كل هذه الإذاعة بأشرطة الكاسيت الفولانية .

والواقع أن البرامج التنصيرية لا تعتمد على البث الإذاعي
إلا في مراحل الاتصال الأولية أو على حد تعبير المنصّرين
« تليين الأرض للخرس والزرع والحصاد » لذا فإن هنالك
وسائل عديدة أولها :

● استغل المنصّرون تعلق الفولانيين بأبقارهم في عملية
تنصيرهم بواسطة المنصّرين البياطرة .. فهم يجلبون لهم
الدواء ، والعلف ، ويصلحون لهم خُرّانات المياه .. والفولاني
لا يتوانى في احترام كل من يحسن إلى أبقاره ، فمفصل الخصوبة
الذي تحقّق به الأبقار يجعلها قادرة على الإنجاب السنوي ،
والتهجين وخلطات العلف ، تجعلها قادرة على توفير جالونين من
اللبّ في اليوم .. أي ساحر عيسى الذي باسمه تنجب البقر
وتعطى أكثر ..

● التعليم التنصيري ... ومدارس الحكومة ..

إذا جاؤوا الرجل الفولاني يسألونه ابنه لكي يعلموه سحر المسيح في معالجة الأبقار رضي وضعف وطمع .. خصوصاً وأن الفولاني لا يرسل ابنه إلى المدرسة لأنها لا تعلمه كيف يرعى الأبقار ويعالجها . وفي هذه الحالة فإن الارساليات النصرانية أحظى له .

وفي حَضْر الفولاني فإن المدارس لا يوجد بها معلم التربية الإسلامية ولا الكتاب الإسلامي ، في حين تقوم إدارة المدارس بضبط المنهج المقرر لدراسة كل من التربية الإسلامية والنصرانية على قدر وميزان ، ومعلمو التربية النصرانية متوفرون .. ففي المدرسة التي أنشئت في ريف جوس يوجد معلمان للتربية النصرانية في حين لا يوجد معلم واحد للتربية الإسلامية - المدارس هناك تتبنى منهج الفصل للرأسين - وفي هذه المدرسة الجديدة يوجد ثمانية عشر طالباً مسلماً ، وطلباين نصرانيان ، ويمكنك تعميم المثال .

● دور الحضارة والأطفال اللقطاء والمستشفيات والمستوصفات والعيادات وسيلة أخرى .. ونكتفي بهذا لكي ننقل لك تقرير لجنة التنصير بواسطة الدعوة المكشوفة ، وهي آخر المراحل التي يلجأ لها المنصرون .

والتقرير الموضح هو للجنة متغيرة منحصرة في ولاية قنقولا شرقي نيجيريا .. لمزيد من المعلومات اتصل بنا في المركز الإسلامي الأفريقي لنزودك بعشرات التقارير من هذا النوع .

تقرير لجنة العمل التابعة للمنصرين C.R.C.N

ولاية قنقولا ، يولا ، نيجيريا

باسم المسيح نحبيكم ونتوجه إليكم باطليب الأمانى .. إن لجنة التنصير التابعة لـ « سي . آر . سي . إن » تود أن تتقدم إليكم بالشكر على روح التعاون التي ابديتها نحو الحملة التنصيرية التي قمنا بها في عام ١٩٨١م ، وفيما يلي التقارير التي تعكس التقدم الذي أحرزناه حتى الآن بفضل الرب ومعونته .

تقرير رقم (١) الحملة التنصيرية أثناء عام ١٩٨١م

لقد عيّن أحد عشر منصرّاً من المنصرين الجدد وذلك عندما تلقينا طلبات من أهل القرى الذين عبروا عن رغبتهم في الانضمام إلى النصرانية وهناك كنائس في جميع هذه القرى تدرس فيها النصرانية .

ولقد استقبلنا أربعين من المعتنقين الجدد الذين تحولوا إلى النصرانية وتم تعميدهم وبعضهم لا يزال يتلقى دروساً في التعميد ، أما القرويون الذين يقطنون منطقة جبل « فالي » فقد بدأنا بإنشاء الكنائس بينهم منذ بداية العام ، ولقد اكتمل بناؤها . والآن فإن ثمانية عشر من الوافدين الجدد إلى النصرانية يتلقون دروساً في التعميد ، وفي قرية « جكواي » بالقرب من جبل « بيت » فإن طبيباً من الأهالي ألقى حديثاً نصرانياً مؤثراً أعلن فيه قبوله للنصرانية في حضور ذوي القرويين وذلك في التاسع

عشر من يوليو (تموز) ١٩٨١م . واليوم فإن عدد المعتنقين الجدد للنصرانية قد بلغ الثمانية والعشرين .

ولقد عقدنا هناك في أغسطس (آب) دورة تنصيرية مع الفولانيين ولقد حضرها فوق المائتين وخمسين فولانياً .. وفي ختام الاجتماع وزعنا أشرطة الكاسيت للوافدين الجدد حتى يتمكنوا من تعليم النصرانية لأزويهم في مناطقهم الدعوية ، كما يوجد منصر يتجول بينهم بدراجته البخارية على سبيل التشجيع . وكذلك فإن الفولانيين الأربعة الذين تحولوا إلى النصرانية يتربدون على المدرسة الانجيلية ويتقدمون بصورة حسنة . وفي وسط المجتمع المسلم في مدينة « يولا » يعمل منصر نصراني كان في السابق مسلماً وهو يعيش بين ظهراني هذه الجماعة بصورة سرية .

خطة عملنا لعام ١٩٨٢م ..

نريد أن نعين منصرين مستديمين في بعض القرى « ماي » « هولا » « قفدن » « دونس » إجابة للطلبات الواردة من المعتنقين والذين يقطنون هنالك منذ عام ١٩٨٠م ، ونريد إرسال بعض المنصرين إلى « داكو » « بين » « فلي » و « قانين » ، لأن الأهالي هناك لم يستمعوا لكلامنا حتى الآن .

ونحن الآن نحضر للاجتماع مع الفولانيين الذي سيعقد في مايو (أيار) ١٩٨٢م ، ولقد استلمنا بقرة هدية لتذبح أثناء الاجتماع أهداها إلينا أحد الفولانيين ، كما تلقينا تقريراً يفيد بأن عدداً من الفولانيين يرغبون الاشتراك هذا العام . كما نخطط لاقتناء قارب بخاري بين سواحل نهر قنقولا ، كما نريد أن نوظف صيدلياً بجانب المنصر يستخدم القارب البخاري للوصول إلى أهالي قبيلة جوكوت الذين يعيشون محاذين لشاطئ النهر ودعوتهم إلى النصرانية .

ومن ضمن برامجنا أن ننجز الوعد الجديد عندما تقرأ كيف حوّل المسيح بعض الصيادين إلى حواريين فعليين التآسي به قدوة .

إننا نعد بحثاً ونأمل أن نتصل ببعض أعضاء قبيلة الكانوري الذين يعيشون في ولاية برنو ندعوهم إلى النصرانية فإن سبعة أشخاص منهم قد اعتنقوا النصرانية من بين مليونين من أفراد القبيلة .

وكما جاء في التاريخ فإن قبيلة جوكوت قد تعاونت مع أهل الكانوري في حربهم ضد الطوارق فنود أن نستغل هذه الخلفية التاريخية للعلاقات الكانورية الجوكوتية في عطفا التنصيري وسط الكانوريين .. وللوفاء بهذه المقترحات فإننا نطرح أمامكم الميزانية المرتقبة لتنفيذ هذه المقترحات .

إننا نتوجه إليكم بالدعوة للحضور والاشتراك والتعاون معنا لإنجاح هذا المشروع ، وكل من يساهم معنا لإنجاح هذا المشروع فسنعطيه وصلاً وسوف نرسل له تقرير عمل عن كل مناشطنا . إننا نصلي وتدعوا لكل من يتقدم إلينا بأي تبرع مالي يستطيعه مهما كان ضئيلاً .